جامعة قطر
QATAR UNIVERSITY
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
College of Sharia & Islamic Studies

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
Journal of College of Sharia & Islamic Studies
نصف سنوية - علمية محكمة
Academic Refereed - Semi - Annual
ISSN 5545-2305
المجلد ٣١- العدد ٢ - خريف١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م
VOL . 31- No. 2, 1435H / 2013A

نشأة علم السنن الإلهية ومنهاج تدريسه

تأليف

الدكتور / رشيد كهوس
أستاذ بكلية أصول الدين بتطوان
جامعة القرويين بالمغرب

ملخص البحث

نشأة علم السنن الإلهية ومنهاج تدريسه

تعتبر معرفة هذه السنن الإلهية منارا هاديا لتسخير الكون بكل ما فيه من أجل فهم أشمل وأكمل للحياة، وامتلاك السبل الموصلة إلى استشراف مستقبل زاهر من خلال تلك السنن الثابتة المطردة الربانية التي تبعث الطمأنينة والوضوح في نفوس المسلمين، ومن أجل إخراج المسلم من العبثية وجعله أكثر إيجابية وأكثر عطاء، وأكثر تأهلا للاستخلاف والإعمار.

وتكمن الأهمية الكبرى لهذا العلم في عناية علماء المسلمين به على مر العصور، وحثهم على التفقه في سنن الله في الحياة مثال: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والمؤرخ الحكيم عبد الرحمن بن خلدون، والشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا وغيرهم كثير...

وإني في هذا البحث أتحدث عن نشأة هذا العلم القرآني الأصيل، واهتمام علماء الإسلام به على مر العصور، كما أحاول من خلال هذا البحث تحديد المنهاج الأصوب الذي ينفع أبناء الأمة ويرفع بمستوى طلبة العلوم الإسلامية عامة وعلم السنن الإلهية خاصة، ويدفع بجامعاتنا إلى العناية بهذا العلم وجعله من أولوياتها، وذلك بعد الحديث عن أهميته نشأته ، وسأتطرق في بحثي هذا إلى ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: أهمية علم السنن الإلهية؛

المبحث الثاني: نشأة علم السنن الإلهية؛

المبحث الثالث: منهاج تدريس السنن الإلهية بالجامعات.

والحمد لله رب العالمين.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي فطر العالم بقدرته، وأبدع الحكم بإرادته وحكمته، وأوجب العباد معرفة أوصافه وأحكامه وسننه، وألزمهم امتثال أمره ونهيه، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد أرسله بباهر آياته ومعجزاته، واصطفاه من بريته، وجعله حجة على خلقه، وعلى عترته أهل بيته وجميع صحابته الذين فازوا بصحبته. وبعد؛

فإن علم السنن الإلهية غاية في الأهمية، له دور عظيم في تجلية معالم الماضي والحاضر والمستقبل وفق منظور القرآن الكريم السنة النبوية.

وتعتبر معرفة هذه السنن الإلهية منارا هاديا لتسخير الكون بكل ما فيه من أجل فهم أشمل وأكمل للحياة، وامتلاك السبل الموصلة إلى استشراف مستقبل زاهر من خلال تلك السنن الثابتة المطردة الربانية التي تبعث الطمأنينة والوضوح في نفوس المسلمين، ومن أجل إخراج المسلم من العبثية وجعله أكثر إيجابية وأكثر عطاء، وأكثر تأهلا للاستخلاف والإعمار.

وتكمن الأهمية الكبرى لهذا العلم في عناية علماء المسلمين به، وحثهم على التفقه في سنن الله في الحياة...

ومع ذلك، فإن هذا العلم القرآني الأصيل لم يحظ بعد بمكانته المرموقة بين العلوم الإسلامية الأخرى، ولهذا كان الشيخ محمد عبده يرجو أن يكون هناك علم للاجتماع

الديني وأن يستخرج المسلمون من القرآن الكريم علم السنن كما استخرجوا العلوم الشرعية الأخرى.

وأرجو أن تهتم الجامعات بتدريس علم السنن الإلهية وإدراجه ضمن مقرراتها في كل المراحل الجامعية، لأنه مفتاح العلوم الإسلامية الأخرى ودعامتها الرئيسة، ولا يمكن لأي باحث في العلوم الشرعية أن يستغني عنه.

هذا، وقد انبعثت الهمم لتطوير العلوم الإسلامية والنهوض بمنهاج تدريسها إلى مستوى التحديات المعاصرة حيث ترتفع عن زخم المناهج المتضاربة التي لا تحقق أهدافها في البناء العلمي والفكري للطالب، ولا تحسن من جودة التعليم، ولا تحقق أهدافه المرسومة، في المقابل تستفيد من التقنيات الحديثة في بيداغوجية التعليم لتطوير مناهج البحث والتدريس لتحقق أهدافها ومبتغاها.

وإني في هذا البحث أحاول تحديد المنهاج الأصوب الذي ينفع أبناء الأمة ويرفع بمستوى طلبة العلوم الإسلامية عامة وعلم السنن الإلهية خاصة، ويدفع بجامعاتنا إلى العناية بهذا العلم وجعله من أولوياتها، وذلك بعد الحديث عن أهميته نشأته.

وسأتطرق في بحثي هذا إلى ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: أهمية علم السنن الإلهية؛

المبحث الثاني: نشأة علم السنن الإلهية؛

المبحث الثالث: منهاج تدريس السنن الإلهية بالجامعات.

المبحث الأول

أهمية علم السنن الإلهية

السنن الإلهية: هي أقدار الله وعهوده الثابتة وعهوده الحقة، وكلماته التامات، التي لا تبديل لها ولا تحويل يعتريها ولا تغيير يشملها، ولا تحابي أحدا مؤمنا كان أم كافرا، والتي على مقتضاها يدبر الله هذا الكون.

إن آيات القرآن الكريم تفيض بالسنن التي أمر الله عباده أن يأخذوا بها في الحياة الدنيا؛ وهي في أكثر من موضع تحض المسلمين وتحثهم على الأخذ بسنن الله تعالى؛ فبينت لهم سنن ولادة الأمم والدول واستمرارها نحو النضج والرقي، كما بينت لهم سنن الهلاك والاندثار بعد القوة والازدهار، وذكرتهم بنماذج من مصير الأمم الغابرة التي تنكبت تلك السنن فتم إهلاكها واستئصالها، كما بين لهم مصير الأمم التي ستأتي من بعد وهي خاضعة كذلك لتلك السنن المطردة.

ولكن قليلون من يتدبرون كتاب الله تعالى ليستنبطوا تلك السنن التي إن سارت على نورها الأمم والجماعات اشتد ساعدها وترسخ وجودها، وإن تخلت عنها أصابها الضعف والذبول والانمحاق.

فيتحصل من كل ما سبق أنه واجب على المسلمين أن يأخذوا بفقه السنن، ويعتبروا بدروسها، ويتبصروا بأنوارها. قال الشيخ محمد عبده –رحمه الله–:" فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في

غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وبينها العلماء بالتفصيل، عملاً بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه"(١).

أرشدنا ربنا تبارك وتعالى "في محكم آياته إلى أن الأمم ما سقطت من عرش عزها ولا بادت ومحي اسمها من لوح الوجود، إلا بعد نكوبها عن تلك السنن التي سنها الله على أساس الحكمة البالغة"(٢).

وبناء على هذا فإن تعرف السنن التي تحكم كل مجالات الحياة والتزام غرزها وعدم الخروج على مهيعها، هو عين التوكل والإيمان، وحقيقة التكليف. "وهي مظهر من مظاهر العدل الإلهي المطلق؛ حيث لا يصح غير ذلك على الله سبحانه وتعالى - فكيف يصح عدلا أن يعط من لا يعمل ويحرم من يعمل! وكيف يمكن للإنسان أن يستجيب لأمر دون معالم هادية، وأسباب موصلة إلى النتائج؟!، ولذلك ينبغي أن نعلم علم اليقين أن هذا الكون محكوم بسنن ثابتة صارمة ومطردة؛ فلا يمكن تسخيره والإفادة منه إلا وفق هذه السنن، والناس والأمم والدول في سائر تصرفاتهم لا يخرجون من سلطانها"(٣).

ومن خلال السنن الإلهية الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة والسير وفق مقتضياتها تحفظ الأمة كيانها من معاول الهدم، وتقي نفسها من السقوط والانهيار.

---

(١) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، محمد عمارة، ٥/٩٥.

(٢) العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، ص١٧١.

(٣) "المسلمون وفقه السنن.."، مقال لمحمد أمحزون، المنشور بمجلة المنار الجديد، السنة السادسة شعبان ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، العدد٢٤، القاهرة، [٢٦-٣٣]، ص٢٧-٢٨.

يقول محمد عبده رحمه الله: "إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم، لنستلهم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وقد بينها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه، والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها، ومعرفة حقيقتها"(١).

وتتبين أهمية العلم بالسنن الإلهية من خلال عناية العلماء بهذا العلم وحثهم عليه، وقد عد الإمام أبو حامد محمد الغزالي-رحمه الله- العلم بالسنن الإلهية من القسم المحمود فقال: "وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله، وسنته في خلقه، وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب، فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم"(٢).

يقول سيد قطب-رحمه الله- في بيان أهمية السنن وتعهدها "إن هنالك سنناً ثابتة لهذا الكون؛ يملك الإنسان أن يعرف منها القدر اللازم له، حسب طاقته وحسب

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٤/١١٥،١١٤.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، ١/٦١-٦٢.

حاجته، للقيام بالخلافة في هذه الأرض. وقد أودعه الله القدرة على معرفة هذا القدر من السنن الكونية؛ وعلى تسخير قوى الكون وفق هذه السنن للنهوض بالخلافة، وتعمير الأرض، وترقية الحياة، والانتفاع بأقواتها وأرزاقها وطاقاتها"[1].

وعلاوة على ذلك فإن من الواجب علينا أن نقرأ سنة الله قراءة ذكية، لا نتبلد مع التقليد؛ ونتدبر تسلسلها التاريخي التكليفي لسنة الله وجريان قَدَرها على كل شيء في هذا الوجود.

والدعوة القرآنية إلى دراسة السنن الإلهية الهدف منها استخلاص الدروس والعبر التي تستفيد منها الأمة المسلمة وتسترشد بها، لتصحح مسارها العمراني البشري على النحو الذي يحقق لها العيشة الهنية في طمأنينة وسلام، وأمن واستقرار.

فالسنن الإلهية نور يُهتدى بها في دياجير الظلام، وما أحوج الأمة إليها وهي تعيش في أحلك الفترات التاريخية، اغتُصبت أراضيها، واحتلت ديارها، ودخل عليها العدو في عقر دارها، فهي في أمس الحاجة -بل واجب عليها- إلى هذا الفقه الذي ينير لها دروب الحياة كما أنارته لمن سبقنا بالإيمان من الرعيل الأول.

ومن هنا فإن الإدراك العميق بأن كل شيء في هذا الوجود يسير وفق السنن الإلهية التي لا تنخرم ولا تحيد، وتوظيف هذا الإدراك إلى واقع العمل حينئذ سيكون الإنسان قادراً أن يسير على المهيع الصحيح بفقه الوحي الرباني مسترشدا بفهم آياته وغاياته،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٣، ص٦٧.

معتبرا بمن سبقه من الأولين، مستفيدا من كل آليات الحياة ومسخرا لها لتحقيق بناء الذات، والحفاظ على الكيان.

لأن العلم بالسنن الإلهية يجنب صاحبه الاعتقاد الخاطئ بأن الكون والحياة تحكمهما المصادفة والفوضى والعبثية، بل توقفه على ما أودعه الله فيهما من سنن تجعل سيره على بصيرة، وعمله على هدى، فيحقق الوقاية من السقوط في مهاوي الهلاك والخيبة والخسران.

ولا تقتصر أهمية علم السنن على ما يترتب عليها من الجزاء في الدنيا، بل إنها ترجع كذلك إلى ما يترتب عليهما من الجزاء في الآخرة.

وعليه، فإن التفقه في هذا العلم ومعرفته والانتفاع به أكثر أهمية بالنسبة للأمة الإسلامية في هذا العصر أكثر من أي عصر مضى، ذلك أنها لم تصل إلى ما وصلت إليه من تفرق وتشرذم وطائفية وتناحر، وتكالب الأعداء عليها حتى فقدت السيطرة على مقاديرها، إلا يوم أن أهملت الأخذ بالسنن الإلهية، والانتفاع بها لتحقيق الترقي الاستخلافي في الحياة؛ بما يعنيه من تحقيق لأقصى درجات الفعالية في الترقي الروحي والمعرفي والنفسي والاجتماعي والسلوكي والعمراني المتناغم مع سنن الله ونواميسه في الوجود. وعليه فلا تقدم ولا ترقي ولا نصر ولا تمكين، حتى تأخذ الأمة بالسنن الإلهية في الكون والحياة، وتسير على منهاجها.

وهكذا نجد أن التفقه في السنن الإلهية والسير على نهجها يجعل الأمة تمشي سويا على صراط مستقيم، وعليه فإن هذا الأمر ليس بالسهولة المفرطة ولا بالتعقيد المعجز، وإنه ليسير على من يسره الله عليه وفتح بصيرته وأمده بمدد من عنده.

ولذلك فإن الغفلة عن السنن الإلهية تجعل الإنسان يفقد "ميزاته الأساسية، وأمانته التي حمله الله إياها، والسلطان الذي أعطاه الله تعالى له، لتسخير ما خلق الله له. ويصير هذا الإنسان المكرم في أسفل سافلين، بل يصير نفسه مسخراً للذين يعلمون سنن الله"(١).

ولا يفوتني القول أن إن من أهم دواعي الاهتمام بالسنن الاجتماعية المبثوثة في القرآن الكريم هو الوظيفة التي تضطلع بها في علاقتها بالعلوم الإنسانية عامة وبعلم الاجتماع خاصة؛ فمن شأنها أن تشكل مصدرا هاما لهذه العلوم نعيد على ضوئه النظر في الكثير من نتائجها وخلاصاتها، ونمدها من ثم بنتائج وخلاصات يقينية أشبه من حيث الصرامة والدقة بمعادلات رياضية وفيزيائية، فتتضاءل الأخطاء نتيجة لذلك، وتتقلص ويصير من الممكن تجنبها وتفاديها.

أضف إليه، أن الظاهرة الإنسانية هي أشد ظواهر الكون تعقيدا لأنها ذات بعدين روحي ومادي. فالبحث العلمي وإن تمكن من تحقيق إنجازات مذهلة فيما يتصل بالعالم المادي الذي يمكن أن نعتمد فيه إلى حد كبير على معطيات الحس، والذي تتفاعل فيه الأسباب والنتائج ثم ينتهي الأمر في هذه الحياة.

---

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص٢٢٥.

كما هو الحال عند الكثير من المدارس ومؤسسيها؛ فمنهم من يمثل الأحداث التاريخية نهرا جاريا بالحضارات يصب في بحر العدم، ومنهم من يتناول وظيفة الإنسان بصفته المحرك الأساس لعوامل الصراع في هذا الكون بغض الطرف عن أي مؤثر كان، ومنهم من يلغي دور الإنسان وفاعليته ويجعله عبدا ذليلا للحتميات..

أو كما هو الحال عند أصحاب الفيزياء الكمية أصحاب نظرية الفوضى "chaos theory" الذين تاهوا في كهوف الضلال و زاغوا عن هدي السنن الكونية وحادوا عن الطريق المستقيم، تلك النظرية الفيزيائية التي تعتبر ذلك التنسيق الدقيق والانضباط التام والدقة المحكمة في الطبيعة "فوضى"[1] ولم تجد غير هذا الاسم.

لكن هذه العلوم الإنسانية ظلت عاجزة أمام الظاهرة الإنسانية التي تتكون من مادة وروح ويتحد فيها عالم الغيب بعالم الشهادة، لأنها بهذا الموجب ذات بعد متعال لا ينتهي بنهاية هذه الحياة ولا يمكن معرفة قوانينه إلا من مصدر علوي.

(١) ها هو علم الفيزياء الكمي يقف عند النقطة التي فقد فيها "موريس دي فرجي" الحبل الرابط بين العوامل المؤثرة في سير حركة التاريخ؛ فلتتعانق علوم الأرض المنقطعة عن الأمر الرباني، ولتعلن عجزها في مواصلة السير، ولتبرأ إلى الله من حولها وقوتها لتدرك أن عقيدة: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤) لهي الحل النهائي لإدراك الترابط بين كل سنة وأخرى من سنن الله في الكون.

وبإجمال فإن من اتخذ سنن الله مطية في بدايته أشرقت نهايته، وبوركت مسيرته، وثبتت أركان دولته ثبات الكلمة الطيبة التي مثلها القرآن الكريم بشجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها [1].

ومن نأى عنها، وحاد عن مهيعها استدرجه قدر الله من حيث لم يحتسب، وجاءه حتفه من حيث لا يشعر.

وصدق ربنا تبارك وتعالى القائل في كتابه العزيز: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ سورة فاطر: من الآية ٤٣.

❁❁❁

(١) السنن الإلهية في السيرة النبوية، أبو اليسر رشيد كهوس، ص ١٤٠.

المبحث الثاني
نشأة علم السنن الإلهية

لقد نشأ علم السنن الإلهية مع نزول وحي السماء على الأنبياء والمرسلين؛ فكل الأنبياء مارسوه وساروا على منهاجه من سيدنا آدم عليه السلام وصولا إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي تعامل مع كل السنن الإلهية؛ مع سنة تغيير النفوس في تربية الصحابة على العقيدة الصحيحة، على النظرة إلى الكون، على النظرة إلى الحياة، أيضا سنة التدرج في الدعوة، وسنة التدرج في بناء الدولة والمجتمع العمراني الأخوي بالمدينة، وسنة التدافع... كما مارسه الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي –رضوان الله عليهم– في حياتهم وخلافتهم واستوعبوه وفقهوا فيه وأخذوا به... ولذلك بنوا مجتمعا عمرانيا أخويا، واستطاعوا بفقه هذه السنن القضاء على الرومان وعلى الفرس وعلى كل أعدائهم في الداخل والخارج...

ولذلك سأتحدث عن نشأته وفق المراحل الآتية:

أولاً : عهد النبوة والخلافة الراشدة

إن المتتبع لسور القرآن الكريم وآياته الكريمة يرى حديثه المستفيض عن السنن الإلهية: سنن الهداية والضلال، والإيمان والكفر، والخلق والأمر، والنصر والهزيمة، واليسر والعسر، والرخاء والشدة، والابتلاء والتمحيص، والرحمة والعذاب، والتغيير والبناء، والأسباب والمسببات، والاختلاف والمختلفين، والتمييز والتفاضل بين البشر، والتدافع بين الحق والباطل، والنعم وتغييرها، والرزق والأجل، وقيام الحضارات وانهيارها، وهلاك

الأمم، والجزاء من جنس العمل، والاستبدال والتداول، والتدرج والاستدراج، والإنذار والإعذار، إلى غير ذلك من السنن التي تحكم الحياة الإنسانية طبقا للمشيئة الإلهية.

ولا يقتصر القرآن الكريم على مجرد عرض السنن الإلهية، وضرب الأمثلة التطبيقية لها من حياة الأمم الغابرة، بل إنه يدعو الناس في كثير من آياته إلى السير في الأرض والنظر فيها وتدبرها، والأخذ بسنن النجاة والابتعاد عن سنن الهلاك، حتى يحقق كل فرد النجاح في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة.

وهذه نماذج من السنن الإلهية في القرآن الكريم:

سنة الاستخلاف: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦)﴾ (سورة النور).

سنة تغيير النعم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤)﴾(الأنفال).

سنة الاعتزاز بغير الله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾(سورة مريم: ٨١-٨٢).

سنة الإملاء: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(سورة آل عمران: ١٧٨).

سنة الابتلاء: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾(سورة العنكبوت).

سنة الهداية والضلال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٨).

سنة الله في الذين يصدون عن سبيل الله:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦).

سنة الله في الأمم: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: ٥٢).

سنة الله في سقوط الحضارات: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٦)﴾ (سورة فصلت).

وفي القرآن الكريم نماذج كثيرة للسنن الإلهية، كيف لا وهو مصدرها.

ولقد كان سيدنا رسول الله ﷺ أسوة وقدوة في فهمه للسنن الإلهية وتطبيقها، وكانت كل تصرفاته تطبيقا وامتثالا للسنن الإلهية، كما كان ﷺ يرشد أصحابه إلى سنن الله في من سبقهم بالإيمان من أتباع الأنبياء والمرسلين، ليحذوا حذوهم ويقتفوا آثارهم، ويحذرهم من السير على سنن المكذبين والظالمين والمنكرين، ويبين أسباب مرض الأمم السابقة وهلاكها وحلول عقاب الله فيها، ويرشدهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة إذا ساروا على سكة السنن الإلهية.

وهذا نموذج لفقه السنن في عهد النبي ﷺ: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال أقبل علينا رسول الله ﷺ. فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في بأيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1]. وقد تناول هذا الحديث الشريف مجموعة من السنن الإلهية في الذنوب والمعاصي والعهود والحكم، وبإجمال تناول سنن الله في العقوبات.

وعن خباب ﷺ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ: أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ! فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ: «لَقَدْ

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب العقوبات، ح٤٠٨٠، قال الألباني: حديث حسن.

كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ»[1].

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ -طبقا للتوجيهات القرآنية والإرشادات النبوية- متفقهين في السنن الإلهية، وعلى معرفة واسعة بها، كيف لا؟ وهم عاشوا مع رسول الله ﷺ كل مراحل التأسي والبناء، والتربية والجهاد، والهجرة والنصرة، والتبليغ والتدافع، والدعوة وبناء الأمة، فتمثلوا منهاج رسول الله ﷺ في فقه السنن، فانتفعوا بها في حياتهم وفتوحاتهم ودعوتهم، ولقد كان فقههم في السنن الإلهية والتزامهم غرزها أول أسباب نجاحهم في حياتهم الفردية والاجتماعية وما أكرمهم الله به من النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض، وتوحيد الكلمة وجمع الصف، وبناء القلوب، ونشر دين الله تعالى في الأرض.

والذي ميّز هذه المرحلة هو الاهتداء العملي والتأسي برسول الله ﷺ في تطبيق السنن، على عكس المراحل المتأخرة التي اهتمت بالكتابة في فقه السنن.

وإلا فلو خالفوا السنن الإلهية وتنكبوها لما تحقق لهم كل تلك الانتصارات في ذلك الزمن القصير، حتى صاروا نموذجا خالدا في تاريخ الإنسانية كلها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، ح٣٦٣٩.

ولذلك لما حل الطاعون بالشام رجع الفاروق عمر ﷺ بالناس ولم يدخلها، فقَالَ له أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ﷺ: "أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ! فَقَالَ عُمَرُ: "لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ **نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ**"[1]. وهكذا كان الفاروق ﷺ فقيها في السنن، وأخذ بسنن الأسباب للحفاظ على الناس من إصابتهم بالطاعون.

والحاصل أن العلم بالسنن الإلهية قد شغل من القرآن الكريم مساحة واسعة، وحظي باهتمام سيد الوجود ﷺ وصحابته الأكرمين من بعده ﷺ، فما ذلك إلا لماله من أهمية بالغة، ومكانة عظيمة في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ثانياً: مرحلة ما بعد الخلافة:

إذا كان العلم بالسنن الإلهية على هذا الجانب من الأهمية فقد كان ينبغي أن تنصرف همم علماء المسلمين وفقهائهم إلى تدوينه والاهتمام به اهتمامهم بسائر العلوم الإسلامية، لكننا نلحظ أن حركة التدوين للعلوم الإسلامية لم تشمل علم السنن الإلهية، رغم أهميته، وأنه يشكل جانبا كبيرا من الدراسات القرآنية، لكن نجد بعض الإشارات العابرة إليه في هذا الكتاب أو ذاك عبر تفسير بعض الآيات القرآنية، أو في بعض الأحاديث النبوية الشريفة، أو في بعض الكتب الإسلامية، ولم تصلنا -فيما نعلم- دراسة متخصصة لهذا العلم الفريد، تبين لنا قواعده وضوابطه، وكل ما يتعلق به.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ح٥٣٩٧.

يقول الشيخ محمد عبده: "لقد جاء في القرآن الكريم الكثير من قواعد هذا العلم فغفل أكثر المفسرين عنه ولم يهتد إلى فقه بعضه إلا القليل منهم إذ لم يكن هذا العلم مدوناً في عهدهم فينبههم إلى ذلك"[1].

والحق في هذا المقام أن المصنفين في العلوم الإسلامية المتقدمين لم يعطوا العناية الكاملة لعلم السنن الإلهية، فلو عنوا به بعض عنايتهم بفروع الأحكام وقواعد الكلام، لأفادوا الأُمة في الدنيا والآخرة. لكن بضاعتُهم من الاهتمام بفقه السنن الإلهية قليلة، وسوقُه كاسدة، لضعف النظر فيها، بسبب الغفلة عن رؤية جريان أحوال البشر في الانفراد والاجتماع، وأوقاتهم في النصر والهزيمة، على سنة الله تعالى ونواميسه الثابتة.

وإنه لمن المؤسف حقا أَن لا نجد من العلماء السابقين من دَوَّنَ للعلم، وكتب فيه بعض الإشارات سوى قلة قليلة جدا.

وهنا من الأهمية بمكان القول أن الفقه الأكبر الشمولي أول ما بدأ في القرن الثاني الهجري أو حتى قبله يعني بعد سنة ٤٠ هجرية حتى منتصف القرن الثاني ولم يظهر الفقه الأصغر أي الاصطلاحي الذي عرفوه بأنه معرفة الأحكام الشرعية الفرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية إلا في تلك المرحلة التي تعتبر متأخرة بالنسبة للصدر الأول ففي إطار الفقه الأكبر كان فقه السنن الإلهية قد يأتي على ألسنة بعض العلماء ثم توقف حينما انتشر الفقه الأصغر وانشغل الفقهاء به وبالتفريع عليه لسهولته لأنه أمكن ضبطه بضوابط القطع والظن من ناحية وأمكن تفصيله بإطار أحكام تكليفية وأحكام

(١) تفسير المنار، ٣٤/٤.

وضعية...، بينما فقه السنن الإلهية على كثرة ما ورد فيه في القرآن الكريم والسنة النبوية فإنه لم يجد منهم العناية اللازمة لأن المؤهلين لدراسة فقه السنن أقل بكثير من المؤهلين لدراسة الفقه سواء أكان الفقه الأكبر بشموله الأول كما كان عند الإمام أبي حنيفة وأترابه أم بالنسبة للفقه الأصغر..

وإن المتقدمين أعطوا كل اهتماماتهم لفقه الأحكام وقواعد الاستدلال والحجاج في الأصول والفروع، يعني أعطوا كل جهدهم لخدمة خمسمائة آية (وهي عدد آيات الأحكام)، لكن أين الاهتمام بالقصص القرآني والأمثال والعظات التي جاءت لتبين للناس سنن الهدى والرشاد ليلزموا غرزها وليحذروا تنكبها، في حين غفلوا عن ثلث القرآن وزيادة الذي اهتم بالسنن الإلهية، هذا إذا أدركنا أن مجرد القصص القرآني شمل زهاء ثلث القرآن مما يبين لنا المدى الشاسع الذي أهملناه من فقه السنن.

ولم يدوّن علم السنن الإلهية ولم يحظ بالعناية الكبيرة سواء في مرحلة تدوين باقي العلوم الإسلامية وظهور الفرق، أم في مرحلة الازدهار والإبداع الإسلامي وبروز الجهود الكبرى للأمة في خدمة القرآن والسنة وعلومهما، إلا بعض المسائل المتفرقة في علوم كثيرة كعلم العقيدة (في الحديث عن الوعد والوعيد والعدل الإلهي وأفعال الله)، وعلم أصول الفقه (في حديثهم عن قواعد التكليف ومقاصد الشريعة والعلة والشرط والسببية، وما يمكن أن يستفاد منه في استخراج السنن الإلهية وقواعدها وتطبيقاتها) وعلم السلوك والأخلاق والإحسان (في الحديث عن طبائع النفوس وما جبلت عليه، وكيفية تغييرها وتربيتها) وعلم التفسير (حيث وقف الكثير من المفسرين عند الآيات المتعلقة بالسنن الإلهية في الكون والحياة والأمم الغابرة)، وعلم الحديث (في شرح بعض الأحاديث

المتعلقة بسنن الله تعالى وبيان ما تضمنه من قوانين إلهية، في العقوبات والابتلاء والنصر وإهلاك الظالمين ونصرة المؤمنين...)، وعلم السياسة الشرعية والأحكام السلطانية (في الحديث عن قواعد التدبير الاجتماعي وطبائع النفوس والتدافع بين الحق والباطل، والعدل والظلم والأخلاق والمهالك....)، وعلم التأريخ (في الحديث عن أسباب سقوط الأمم والحضارات والدول)، لكن هذه المتفرقات تحتاج إلى جهود لا يستهان بها لجمعها من هنا أو هناك وتوثيقها وتنسيقها واستنباطها.

ولذلك لم يكن المسلمون على مستوى الأمر الإلهي(اقرأ) الذي ربط بين قراءة المنظور وقراءة المسطور فجعل القراءة باسم الله الذي خلق الإنسان من علق والذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم فلم يفد المسلمون لا من قراءة المسطور ولا من قراءة المنظور، فجهلوا السنن الإلهية التي تحكم الحياة، وتوقفوا عن السير في الأرض استنباطا لسنن الاجتماع والاعتبار بما أصاب الأولين والاتعاظ بجهل المعاصرين.

أما في مرحلة الضعف والانهيار، وانحباس الفقه، وظهور التقليد وتوقف حركة الاجتهاد، وتراجع الأمة وانحسارها، وتكالب الأعداء من كل أوب وصوب عليها، والحملات الصليبية الحاقدة على ثغور المسلمين، وسقوط الأندلس الفردوس المفقود، وشيوع فكر الإرجاء والتواكل... فقد برزت بعض الكتابات الرصينة للحديث عن السنن الإلهية -نتيجة تلك الأوضاع المزرية التي تعيشها الأمة-، عند الشيخ ابن تيمية، والمؤرخ الحكيم عبد الرحمن ابن خلدون، وابن قيم الجوزية وغيرهم... والاهتمام الكبير نجده عند ابن خلدون وبيانه سنن الاجتماع والعمران.

وعليه، فإن جهود علماء الإسلام الأوائل لم تؤسس علما مستقلا يُعنى بدراسة السُّنن الإلهية على غرار العلوم الشرعية والعقلية الأخرى التي اجتهد فيها علماء الأمة المتقدمين؛ تقعيداً وتنظيراً وتطبيقاً وممارسة.. فقد كان حضور هذا العلم كان ضئيلا في مؤلفات المتقدمين إلا في شذرات متناثرة هناك وهناك كما سبق الحديث عنه، وباستثناء ملاحظات الرازي (٢٥٠هـ-٣١١هـ) في مفاتيح الغيب، وابن حزم (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ)، وابن القيم في "أعلام الموقعين" و"إغاثة اللهفان" وفي جل كتبه المتنوعة، وأبو حامد محمد الغزالي(٤٥٠هـ-٥٠٥هـ) في إحياء علوم الدين، وشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١هـ-٧٢٨هـ) في منهاج السنة النبوية وفتاويه وغيرهما، وأبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم ابن عمر الشيحي الخازن (٦٧٨هـ-٧٤١هـ) في تفسيره "لباب التأويل في معاني التنزيل"، وبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٠٩هـ-٨٨٥هـ) في "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وعبد الرحمن السيوطي (٨٤٩هـ-٩١١هـ) في كتابه "تناسق الدرر في تناسب السور"، وأبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي(٨٩٨هـ-٩٨٢هـ) في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم"؛ شهاب الدين الألوسي(١٢١٧هـ-١٢٧٠هـ) في تفسيره "روح المعاني"، وعند بعض العلماء والمفكرين الآخرين وهم من القلائل.

إلى أن ظهر الجهد النوعي المتميز الذي أبدع فيه مؤرخنا الحكيم عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢هـ-٨٠٨هـ) —في مقدمته وتاريخه- في صورة علم العمران البشري والذي أسس به لعلم سنني عمراني حضاري فريد، كان نقطة تحول عظمى في التعامل مع علم السنن الإلهية، والاشتغال به بصورة منهجية موضوعية.

وبالرغم من وجود شذرات من علم السنن الإلهية في كتابات العلماء المتقدمين إلا أن مجمل الحديث عنه يوحي بضحالة تلك الجهود وقلتها وعدم وصولها إلى مرحلة تأسيس علم السنن الإلهية قواعداً وضوابطاً وممارسة وتطبيقا. مما يوحي بوجود نقص في المعرفة بعلم السنن الإلهية وإن عايش المسلمون هذه السُّنن ومارسوها عمليا. ولذلك لم تظهر الاهتمامات بدراسة السُّنن في كتب معمقة إلا في بعض الدراسات في عصور متأخرة.

وهنا يمكن التفريق بين علم السنن الإلهية المقعد -كما هو حال باقي العلوم الإسلامية-، وبين الوعي السُّنني الذي يصبح جزءا من الشخصية الإسلامية ومن الممارسة السلوكية العامة للفرد والمجتمع.

ولذلك فإن لاحظ الكثير من المفكرين المعاصرين غياب الاهتمام الكبير بعلم السُّنن الإلهية (تأصيلاً وأصولاً وضوابطاً وقواعد..) ضمن نسق الفكر الإسلامي المبكر، فإن هذا لا يعني غياب الوعي السُّنني عند معظم علماء المسلمين المتقدمين. بل كان هناك وعي بالسنن وإن لم يؤصلوا لها، وبالخصوص عند العلماء الذين اشتغلوا بالعلوم المنهجية مثل: أصول الفقه ومقاصد الشريعة والتفسير والفلسفة والتاريخ... ونجد الكثير من السُّنن منثورة في هذا الكتاب أو ذاك، دون أن تشكل مباحث مستقلة في الموضوع أو تشكل اهتماماً محورياً بارزاً... يعني غياب التأسيس لهذا العلم القرآني الأصيل الفرضي.

نحن لا ننكر أن تأصيل هذا العلم وتقعيده يحتاج إلى وقت كاف ودورة كاملة قد تستغرق جيلاً أو أجيالاً، ليعطي ثماره ناضجة، لكن لابد من العناية به والاهتمام به وإعطائه أهمية قصوى مما يترتب عليه من تقدم الأمة وتأخرها.

ثالثاً: عصر النهضة والصحوة وحركات الإصلاح:

تشكلت العقلية الإسلامية منذ البداية بمنطق السنن الإلهية، غير أن هذا العلم بقي تطويه الأيام والعصور حتى منتصف القرن الماضي حيث بدأ بعض مفكري الإسلام يفكرون في هذا العلم وينبهون إلى أهميته ويحثون على الاهتمام به، ومن هؤلاء السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨م –١٨٩٧م) الذي انتحى في كتابة مقالات العروة الوثقى منحى يؤكد وقوفه على كثير من السنن الإلهية في الكون والحياة، ونظام الاجتماع البشري وأسباب ترقي الأمم وتدليها وقوتها وضعفها...

وتبعه في ذلك الشيخ محمد عبده(١٢٦٦هـ-١٣٢٣هـ) في العروة الوثقى وما نقل عنه الشيخ رضا في تفسير المنار، فهو منذ بدايات دعوته في الإصلاح يضع السنن الإلهية في ذهنه إذ الإصلاح والتغيير بني على سنن إلهية ثابتة ومطردة وماضية لا تتخلف ولا تتأجل، ولم يقف عند هذا الحد فقط، بل حث على الاهتمام بالسنن الإلهية وتدوينها والعناية بها، وتأصيل علم الاجتماع على قواعد إسلامية قرآنية متينة فيقول: "إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سنناً يوجب علينا أن تجعل هذه السنن علماً من العلوم المدونة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أجمل وجه فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون لهم قوم يبينون لهم سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد عليها بالقرآن بالإجمال وقد بينها العلماء بالتفصيل عملاً

بإرشاده كالتوحيد والأصول والفقه، والعلم بسنن الله –تعالى– من أهم العلوم وأنفعها والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لاجتلائها ومعرفة حقيقتها"[1].

ويضيف قائلا: "إن علم السنن أعظم الوسائل لكمال العلم بالله –تعالى– وصفاته ومن أقرب الطرق إليه وأقوى الآيات الدالة عليه وهو أعظم العلوم التي يرتقي بها البشر في الحياة الاجتماعية المدنية فيكونون بها أعزاء أقوياء سعداء وإنما يرجى الاستفادة منه إذا نظر فيه إلى الوجه الرباني والوجه الإنساني جميعاً وهو ما كان عمر ينظر فيه بنور الله في نظرته وهداية كتابه... وإن في سياسة عمر وفي كلامه لدلائل كثيرة على بصيرته في هذا العلم"[2].

ثم تبعه تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا(١٢٨٢هـ-١٣٥٤هـ) في تفسيره (المنار) والذي كشف فيه عن الكثير من السنن الإلهية، ويؤكد هذا ما جاء في صفحة غلاف تفسير المنار:"هذا هو التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول الذي يبين حكم التشريع وسنن الله في الإنسان وكون القرآن هداية للبشر في كل زمان ومكان ويوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر وقد أعرضوا عنها وما كان عليه سلفهم المعتصمون بحبلها وهذه هي الطريقة التي جرى عليها في دروسه في الأزهر حكيم الإسلام الأستاذ الإمام محمد عبده" [3].

---

(١) تفسير المنار، ٤/١١٤.

(٢) تفسير المنار، ١/٢٠-٢١.

(٣) صفحة غلاف تفسير المنار.

ثم سلك نفس المنهاج سيد قطب في تفسير (في ظلال القرآن) وقد بين فيه الكثير من السنن الإلهية. ثم الشيخ محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ/-١٩٨٠م) في السنن التاريخية في القرآن الكريم (ضمن كتاب المدرسة القرآنية)، فصل في الحديث عن السنن التاريخية في القرآن الكريم وخصائصها وفلسفتها، والأسلوب القرآني في الكشف عنها، وعن حركة التاريخ ودور الإنسان فيها.

كما ألف المفكر الإسلامي جودت سعيد سلسلة بعنوان: "سنن الله في النفس والمجتمع" وعالج فيها مشكلة عدم إدراك المسلمين أن ما يعانونه من مشاكل إنما يقع وفق السنن الإلهية في الكون والحياة.

كما درس الدكتور المفكر خالص جلبي ظاهرة المحنة في الحياة الإسلامية دراسة سننية، بيان فيها الكثير من الحقائق السننية.

كما وقف عند بعض السنن الإلهية الشيخ إبراهيم القطان(ت١٤٠٤هـ) في "تيسير التفسير"، والشيخ سعيد حوى (١٣٥٤هـ-١٤٠٩هـ) في الأساس في التفسير، والشيخ محمد سيد طنطاوي في "التفسير الوسيط"، والشيخ أبو بكر الجزائري في "أيسر التفاسير".

أما العلامة التونسي الطاهر ابن عاشور فإنه كثير الإيماء إلى بيان سنن الله في الأنفس والآفاق، في تفسيره "التحرير والتنوير"، كما له أيضا وقفات أخرى مع الآيات المشتملة على لفظ "سنة الله" بالشرح والتحليل مدعما رأيه بالمعقول والمنقول.

أما المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي (١٣٢٣ هـ-١٣٩٣ هـ)، فقد أبدع في سنن النهضة، وفلسفة الحضارة، ولفت الأنظار إلى قضية السنن، في عديد من كتبه التي وضعها تحت عنوان: (مشكلات الحضارة)، ومنها: "شروط النهضة"، و"مشكلة الأفكار"، و"مشكلة الثقافة"، و"ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية"...

ولا ننسى بقية المفكرين والباحثين والكتاب المسلمين المهتمين بهذا العلم أمثال: الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي (١٢٩٤هـ-١٣٧٩هـ) في مكتوباته ورسائله، ومحمد الغزالي في "كيف نتعامل مع القرآن"، والعلامة يوسف القرضاوي، والدكتور عبد الكريم زيدان في "السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية" و"المستفاد من قصص القرآن"، والمفكر محمد قطب في "التفسير الإسلامي للتاريخ" وغيره، وصادق عرجون، والمفكر التركي فتح الله كولن، ومحدث العصر الشيخ عبد الله التليدي في "أسباب هلاك الأمم وسنة الله في القوم المجرمين"، والدكتور عبد الحليم عويس في "فقه التاريخ" ومقالاته، والدكتور مصطفى الشكعة في كتابه "السنن الإلهية في رحاب القرآن الكريم"، والدكتور عماد الدين خليل، والدكتور علي الصلابي في كتاباته، وأستاذنا الدكتور محمد محمد أمزيان في كتابه النفيس "منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية"، والدكتور مجدي محمد عاشور في "السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم-أصول وضوابط"، والشيخ محمد جابري في سلسلة الفريدة "السنن الإلهية ضوابط العلوم المعرفية"، كما أنجزتُ بعض الدراسات في السنن الإلهية: "السنن الإلهية في السيرة النبوية"[1]، و"سنة الله في اليهود ومستقبل الأمة الموعود"[1]، و"سنة الله في جهاد رسول

(١) الطبعة الأولى: مارس ٢٠١٠م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

الله ﷺ" [٢]، و"مستقبل الأمة الإسلامية في ضوء السنن الإلهية"[٣].. إضافة إلى بحوث علمية ومقالات، والأستاذ محمد هيشور في "سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها"، والدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في "وعود القرآن بالتمكين للإسلام" و"مع قصص السابقين في القرآن الكريم"، والدكتور حامد محمد خليفة في "التاريخ الإسلامي وتأصيل الهوية".

هكذا على مر التاريخ لم ينقطع الاهتمام بهذا العلم، وزادت العناية به في الوقت الحاضر، في الجامعات والكليات وأنجزت فيه رسائل جامعية مهمة.

والحق في هذا المقام: أن فقه السنن الإلهية من فقه الدين، ورعايتها حفظٌ للدين؛ لأنها أساس الاستبصار في إقامة مجتمع العمران وصلاح أحوال المعاش، ومحك أفعال البشر في بيان صوابها أو خطئها.

❁❁❁

(١) في طبعتين: الأولى بدار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة١/يوليو٢٠٠٩م، والثانية منقحة ومزيدة بدار الحكمة بالقاهرة جمهورية مصر العربية، ط/٢٠١٢-١٤٣٣هـ.

(٢) هذا البحث هو موضوع رسالتي للدكتوراه من جامعة محمد الأولى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، نشرتها دار الحكمة، القاهرة-مصر، ط١/٢٠١٢-١٤٣٣هـ.

(٣) نشرته دار الحكمة، القاهرة-مصر، ط١/٢٠١٢-١٤٣٣هـ.

المبحث الثالث

منهاج تدريس علم السنن الإلهية بالجامعات

إن هدف مناهج التدريس؛ لا يتمثل في حشو أذهان الطلبة بالمعلومات، وإن كان لهذه المعلومات أهميتها في المعرفة... لكن الهدف الأسمى الذي يجب أن تتجه إليه مناهج تدريس العلوم الإسلامية في جامعاتنا وكلياتنا ومدارسنا، إنما هو تقديم معرفة علمية دينية متكاملة الأجزاء، وبناء الشخصية الفكرية للطالب وتمكينه من المادة المدروسة، والكشف عن قدراته الفكرية والعقلية وتنمية ملكات الاستنباط والبحث الشرعي عنده، وإكسابه القدرة على التفكير العلمي السليم المبني على منهجية إسلامية لاحبة، قادرة على البحث والدراسة والمحاورة والمناظرة حتى يشتد عوده ويقوى ساعده وتتسع مداركه.

والحاصل أن التدريس الفعال هو ذلك النمط من التدريس الذي يفعّل من دور الطالب في التعلم فلا يكون الطالب فيه متلقيا للمعلومات فحسب، بل يكون مشاركا وباحثا عن المعلومة بشتى الوسائل الممكنة. فهو بالتالي يعتمد على النشاط الذاتي والمشاركة الإيجابية للمتعلم، والتي من خلالها قد يقوم بالبحث مستخدمًا مجموعة من الأنشطة والعمليات العلمية.

فلقد كانت منهجية التدريس في الماضي تركز على توصيل المعلومات إلى ذهن الطالب بطريقة تسهل استيعابها، أما حديثا فإنها تعنى إلى جانب ذلك بالعمل على تهيئة الفرص أمام الطلبة لاكتساب الخبرات، وذلك عن طريق النشاط والممارسة، وبهذا

يتسع الدور الذي تقوم به طرائق التدريس، وتصبح جزءا لا يتجزأ من المنهج بمعناه الواسع المتطور بدلا من كونها وسيلة لنقل المعلومات إلى التلاميذ فحسب[1].

وعليه فلابد من تقديم نموذج عملي لتدريس علم السنن الإلهية نجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة والثوابت والمتغيرات مع الاستفادة من تكنولوجيا التعليم الحديثة التي تستخدمها الجامعات المتقدمة في عصرنا هذا.

ولذلك يجب الاعتماد في تدريس علم السنن الإلهية على حسن العرض واعتماد منهج الإمام أبي حنيفة –رحمه الله– في التدريس: السؤال والمناقشة وبناء الدرس جماعيا، مع التركيز على الجانب العملي التطبيقي للسنن الإلهية، هذا بالإضافة إلى تطعيم المناهج الأصيلة بالمناهج الجديدة كاستعمال المعلوميات والأساليب الفنية في التدريس؛ مثلا: وضع خلاصات على برنامج "PowerPoint" وعلى الخطاطات المفاهيمية.

ولا يختلف منهج تدريس السنن الإلهية عن منهج تدريس باقي العلوم الإسلامية والشرعية.

ويمكن التفصيل في منهاج التدريس وفق الخطة الآتية:

---

(١) تطوير المناهج، حلمي أحمد الوكيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧/ ١٩٨٢م، ص ٣٨.

(أولاً): وضع الأهداف:

لابد لضمان نجاح تدريس أي مادة من مواد العلوم الإسلامية بتحديد أهدافها (معرفية- مهارية- وجدانية)، ولهذا يمكن أن أجمل أهم الأهداف الكبرى لتدريس السنن الإلهية فيما يأتي:

أ) - أهداف إجمالية:

وإذا نظرنا في الأهداف الإجمالية المراد تحقيقها نجدها ترجع إلى هدافين:

أولهما: البناء العلمي؛ أي الحرص على إعطاء الطالب المعلومات الكافية المتعلقة بعلم السنن الإلهية، بغرض استيعابها وحفظها وفهمها.

وثانيهما: تكوين المَلَكة؛ وهنا يجب التركيز على الوسائل المحققة لبناء الملكة لدى الطلاب، بالتركيز على دراسة مفهوم السنن الإلهية وأصولها وأقسامها وضوابطها وحجيتها ومواردها وطرائق استنباطها وخصائصها وقواعدها والمقارنة بينها وبين المناهج المادية الوضعية، مع التركيز على الأمثلة التطبيقية... إذ الأصل في الجامعات أن تعطي مفاتيح العلوم ولا تلقنها فحسب.

لكن إعطاء المفاتيح وتكوين الملكة ينبغي أن يكون بعد تحصيل قدر لا بأس من المعلومات، وهذا يكون قبل المرحلة الجامعية، لكن الواقع أن هذا في الغالب لا يحصل..

ولذلك فإن البناء العلمي جزء لا يتجزأ عن بناء الملكة وأنهما يسيران مع الطالب في خطين متوازيين في مسيرته العلمية والفكرية...

ب) - أهداف تفصيلية:

أما الأهداف التفصيلية فيمكن تحديدها كما يأتي:

- يهدف تدريس علم السنن الإلهية إلى مساعدة الطالب في التعرف على مفهوم السنن وخصائصها، وقواعدها، وحجيتها، وأهميتها، وعلاقتها بباقي العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية، وطرائق استنباطها واستخراجها...

- تعرف الطالب على أهمية هذا العلم، إن ما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم، وما برز في المجتمع من أفكار جديدة على الساحة لا يمكن تغطيتها ورؤية الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلى السنن الإلهية الثابتة المطردة، التي لا تتخيل ولا تتحول ولا تتبدل.

- ربط الطالب بكتاب الله العزيز, وتحبيبه إليه, وتعويده تلاوته, والعمل به في جميع شئون حياته العامة والخاصة، لأن السنن الإلهية مصدرها القرآن الكريم، ولأنها على صلة وثيقة به.

- اكتساب مهارة البحث في المصادر من خلال الواجبات التي يقررها مدرس المادة.

- تكوين الملَكات، تنمية المهارات السلوكية والعملية، والقدرة على البحث والنظر في كل ما يتعلق بعلم السنن الإلهية. ذلك حتى يمتلك الطالب تصورا متكاملا عن علم السنن الإلهية، وعن المهتمين به من المفكرين المسلمين، مع الوقوف على خصوصياته وأهميته ومقاصده وآثار العناية به، ومعرفة طرائق استنباطه من القرآن

الكريم والسنة النبوية. كما يتمكن الطالب من معرفة دراسة واقعة حديثة من خلال السنن الإلهية...

- إيصال المعرفة والمعلومة العلمية المتعلقة بالسنن الإلهية إلى الطالب، مع تدريبه على المنهجية العلمية اللازمة، المتمثلة في معرفة طرق الوصول إلى المعلومات في مظانها الأصلية، مع القدرة على توظيفها في المجال الذي نريد، وما يصاحب ذلك من توثيق علمي للمعلومات، وفهمها فهما صحيحا.

- إدراك سنن الله تعالى في الكون والمجتمع والإنسان؛ تمهيداً لتسخيرها، والعمل بمقتضاها حتى يعود المسلمون من جديد خير أمة أُخرجت للناس.

- تكوين باحثين قادرين على الربط بين السنن الإلهية في القرآن والسنة، وواقع الأمة الإسلامية، من خلال استعمالهم للتقنيات العلمية والأصولية والتفسيرية، لحل مشكلات المسلمين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتربويا وفكريا.. أي تخريج فوج من علماء الاجتماع والتاريخ.

- وقبل كل هذا خدمة القرآن الكريم، والاستجابة لأمر الله تعالى الذي أمر بقراءة كتابه المنظور وتدبره وأخذ العبرة منه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران:١٣٧). ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النساء:٢٦).

- تعمق فهم الطالب للسُّنن الإلهية، وزيادة الوعي بها، وبالخصوص في هذا العصر الذي تواجه فيه الأمة واقعاً معقداً لا سبيل إلى التغلب عليه إلا بالالتزام بدين الله وشريعة الإسلام، وإدراك السنن الإلهية في الحياة والكون والمجتمع والإنسان؛ تمهيدا لتسخيرها، والعمل بمقتضاها حتى يعود المسلمون من جديد خير أمة أُخرجت للناس.

ولتحقيق هذه الأهداف نحتاج لطريقة مناسبة لتدريس المادة، علما أن الطريقة نفسها تتأثر بأهداف المادة ومحتواها، ونوعية الطلبة، وتتعدد تبعا للنظريات التربوية والفلسفية المستمدة منها.

(ثانياً) : الإلقاء والمحاضرة :

وهنا يحتاج الأستاذ إلى إعداد كامل للمادة، وتخطيط محكم لها، وترتيب جيد للمعلومات ولخطة المحاضرة وأنشطتها، وأن تكون عناصرها مرتبة ترتيبًا منطقيًا، ومن ثم لابد له من الرجوع إلى كتاب الله تعالى لكونه أول روافد معرفة السنن الإلهية، ليستقرئ ويجرد ما جاء فيه ويتتبع مظان السنن من خلال تقصي مفردات القرآن الكريم واستنطاق آياته وتثوير معانيه تمهيدا للخروج بتصور شامل عن المعرفة القرآنية في هذا المجال.

وبما أن القرآن الكريم كتاب تشريع وأحكام فإنه لايقف موقف الحياد من أحداث الحياة الإنسانية، بل يرسم منهاج النظر التدبر والاعتبار والعمل في مختلف مجالات الحياة، وقضايا الفرد والمجتمع.

وفي هذه الطريقة يقوم الأستاذ على أساس إعطاء التعميمات والمفاهيم والحقائق للطلاب بشكل مباشر: نشأة علم السنن الإلهية وأهميته وفوائده وموارده وحجيته ومكانته بين باقي العلوم الإسلامية وخصائصه وقواعده.

ويستعين على ذلك بالتكنولوجية الحديثة والمعلوماتية، وبالخصوص برنامج PowerPoint في تلخيص محاضرته حتى يجذب أنظار الطلاب وانتباههم وتتبعهم لكل ما يقدمه الأستاذ من معلومات مفيدة.

وتكون المحاضرة مرتبة وفق الخطة الآتية:

- **المدخل**: ويتم فيه التمهيد للدرس الجديد، وربطه بالدرس القديم، وفي المدخل يحاول الأستاذ من خلالها جذب انتباه الطلبة وإثارة اهتمامهم بدافع الشوق والإقبال على المحاضرة، وذلك بذكر .

- **العرض**: وهو الجانب المهم في المحاضرة، حيث يقوم الأستاذ بعرض عناصر المحاضرة. بمشاركة الطلاب مشاركة فعالة في الاستنتاج والاستنباط والاستقراء والمقارنة، والإجابة على الأسئلة الشفوية والتحريرية المتعلقة بموضوع المحاضرة... ولا ينبغي أن يقتصر دور الطلبة على التلقي فحسب، ويكون العرض وفقاً لأهداف الدرس وطبيعة محتواه، ومن الضروري أن تتعدد فيه أساليب استيعاب الدرس وفهمه معرفياً وسلوكياً ومهارياً.

- **الخاتمة**: وهي عبارة عن تلخيص لأهم عناصر المحاضرة، وذلك للتذكير بها وإبرازها، وينبغي تدوين ذلك الملخص على السبورة متى كان ذلك ضروريا، حسب

طبيعة المادة. مثلا كانت المحاضرة عن خصائص السنن الإلهية، يتم تلخيصها وفق الخطة الآتية:

(ثالثاً): المشاركة والتفاعل:

هنا ينطلق الأستاذ من قاعدة الطلاب ويعطيهم حرية أكبر للتفاعل والنقاش كما هو في الطريقة الاستقرائية والمناقشة وغيرها... فيذكر حدثا تحققت فيه سنة من السنن

الإلهية، ثم يفتح المجال للطلبة لذكر أحداث أخرى مشابهة تحققت فيها نفس السنن الإلهية، انطلاقا مما درسوه.

أو يعطيهم نصاً قرآنياً أو حديثياً لاستنباط سنة من السنن الإلهية، ويقوم الأستاذ بصياغتها صياغة والتعريف بها تعريفاً علمياً.

(رابعاً): إلزام الطلاب بأعمال خارج الحصة:

تكليف الطلبة بعروض بوضع معجم للسن الإلهية المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعجم للمصنفات في علم السنن الإلهية والمهتمين بها.

إلزام الطلبة بإنجاز عروض حول السنن الإلهية في القرآن الكريم والتعريف بها: (سنة النصر، التمكين، الاستخلاف، الصبر، الابتلاء، التمييز، الجزاء من جنس العمل، الاختلاف، الرحمة، المحبة، الطاعة، العذاب، العقوبات...).

إلزام الطلبة بتلخيص كتاب من كتب السنن الإلهية: مثل (السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية للدكتور عبد الكريم زيدان، أو السنن الإلهية في رحاب القرآن الكريم للدكتور مصطفى الشكعة) أو غيرهما.

والتلخيص فن من فنون الكتابة والتأليف، وله أهمية لا يستهان بها في استيعاب الأفكار واختزان كم كبير من المعلومات في عبارات قليلة.. تجعل الطالب على معرفة تامة بكثير من المسائل المتعلقة بعلم السنن الإلهية.

ثم المرحلة الأخيرة هي مرحلة التطبيق: تعطى للطلبة واقعة من تاريخ الإسلام مثلا (غزوة الأحزاب) التي شملت مجموعة من السنن الإلهية، ثم يطبق هذه الواقعة على واقعنا المعاصر ويستخرج نفس السنن الإلهية التي تثبت ثباتها واطرادها، أو تثبت مقولة ((التاريخ يعيد نفسه)).

فالمسلمون في غزوة الأحزاب تمثلهم الأمة الإسلامية والأحزاب تمثلهم أمريكا والصهيونية والغرب وغيرهم من الحاقدين على الإسلام.

العمل ضمن ورش عمل تطبيقية على شكل مجموعات: التدريب على تطبيق سنة من السنن الإلهية على الواقع المعاصر (سنة الابتلاء نموذجاً)، وهنا نحتاج إلى الخطوات الآتية لنحقق نجاح الورشة: المعرفة + الفهم + تطبيق المعرفة والفهم= إتقان المهارة.

معرفة سنة الابتلاء في القرآن والسنة والسيرة النبوية، وفهمها فهماً دقيقاً، وتطبيقها على الواقع المعاصر، ابتلاء الأمة بتكالب الأعداء عليها، وتخاذل حكامها لها، وتقاعس أبنائها عن نصرتها.

(خامساً): طريقة التغذية والمراجعة :

وهذه الطريقة تعتمد على تقويم الأستاذ لطلابه وإعطائهم تغذية راجعة عن أدائهم يسمح لهم بمراقبة تطورهم ومعرفة ما طرأ على مستواهم من تغير سلبي أو إيجابي في الأعمال البحثية التي كلفوا بها.

كما يجب على الأستاذ مراعاة الحالة النفسية للطالب، وتجنب القسوة والشدة في التعامل، والتيسير والتخفيف، والعدل في التنقيط، وتشجيع الطالب بكل الوسائل.

وهذه خطاطة تلخص تفعيل دور الطالب داخل الدرس:

مشاركة الطلاب وتفاعلهم
1-جلب اهتمام الطلاب لموضوع الدرس
2-توجيههم تدريجيا للوصول إلى المطلوب وتحقيق المقصود
3-إعطاء الوقت الكافي لهم للإجابة على الأسئلة التي تثار داخل القاعة، وتعزيز الأجابات الصائبة والمواقف الإيجابية
4-السماح لهم بإبداء آرائهم والتعبير عن أفكارهم وتدعيمهم وتشجيعهم على ذلك وعلى المنافسة فيما بينهم في المشاركة البحث والتفوق
5-ضبط تدخلاتهم بشكل تربوي
6-تشجيعهم على التواصل والحوار والتعامل الخلقي والتعاوني بينهم
7-تحفيزهم على البحث في مختلف مصادر المعرفة وكيفية استثمارها
8-التصرف بحكمة في حل مشكلاتهم (الشغب، بعض السلوكات المخطئة...)
9-تعزيز قيم الفضيلة والخير تجاه مجتمعهم وجامعتهم وبيوتهم

(سادساً): تقسيم مادة السنن الإلهية إلى وحدات:

ليستفيد الطالب من علم السنن الإلهية لابد من تقسيم المادة إلى وحدات حسب المراحل الجامعية، حيث تدرس وحدة واحدة في كل مرحلة:

■ **الوحدة الأولى: مدخل إلى علم السنن الإلهية**. ويشمل المحاور الآتية:

مفهوم السنن الإلهية، وأنواعها وأقسامها، وأهميتها وفوائدها وحاجة المسلمين إليها، وحجيتها وخصائصها ومواصفاتها وضوابطها، مواردها وضوابط استخراجها، وقواعدها الكلية، وعدالة السنن الإلهية، وآثار مراعاتها، ومكانتها بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية.

■ **الوحدة الثانية والثالثة: الجانب التطبيقي (السنن الكبرى في القرآن الكريم)**:

وتشمل المحاور الآتية:

- سنة الله في الدعوات والرسل والرسالات وأتباعهم؛
- سنة الابتلاء والفتنة والتمحيص والاختبار؛
- سنة التدافع والتداول؛
- سنة النصر والتمكين والاستخلاف؛
- سنة التدرج والإعداد والتغيير؛
- سنة الإملاء والاستدراج والإهلاك؛
- سنة الهداية والضلال؛

- سنة جريان القدر الرباني من خلال أعمال البشر إن خيرا فخير وإن شرا فشر؛
- سنة الجزاء من جنس العمل؛
- سنة الأسباب والمسببات؛ سنة الله في هلاك الأمم.

■ **الوحدة الرابعة: علاقة السنن الإلهية بالعلوم الإسلامية والإنسانية.**

■ **الوحدة الخامسة: مقارنة منهج السنن الإلهية بالمناهج الوضعية الأخرى:**

(التحليل المثالي للتاريخ، التحليل المادي الجدلي الديالكتيكي، التحليل الحضاري للتاريخ).

خاتمة

من يتخذ السنن الإلهية ضابطاً ومقاساً لكل ما يجري في هذا الكون لا غرو يتجنب محنا كثيرة يكنها اعتراض سبيل من لم يستنر بنور السنن الإلهية.

واكتشاف السنن الإلهية وقوانينها يكفينا مئونة التيه في فيافي الحياة وسبلها، وترفع التحدي في وجه العلوم الاجتماعية المعاصرة، لكونها قواعد جامعة مانعة شاملة لكل مناحي الحياة.

وهذا البحث خطوة في الكشف عن علم إسلامي أصيل ومعدن نفيس وميزان يزن بالحق الإلهي، وهذه الخطوة تتبعها خطوات في الكشف عن أسرار هذا العلم ومكانته وأهميته في خدمة باقي العلوم الإسلامية والإنسانية.

وأختم هذا البحث بهذه التوصيات:

- إدراج مادة علم السنن الإلهية في البرامج التعليمية الجامعية، وتخصيصها بالبحث العلمي النظري والعملي.
- إنشاء مراكز بحث ومعاهد متخصصة في السنن الإلهية (الكونية، النفسية، الاجتماعية، التاريخية).
- ربط الدرس السنني بباقي العلوم الإسلامية (اللغة العربية، وأصول الفقه، والتفسير، ومقاصد الشريعة، والحديث النبوي الشريف) فتدريس السنن الإلهية قائمة على دراسة علم أصول الفقه والتفسير إذ بهما نستنبط السنن الإلهية من القرآن الكريم.

- ربط الدرس السنني بالواقع وبالمجتمع حتى يكون الطالب في مستوى التحديات التي تحاول النيل من دينه ومقدساته وأمته، فضلا عن الصلة الوثيقة لهذا العلم بالحياة.

- الاستفادة من البيداغوجية الحديثة والتكنولوجيا المعلوماتية الحديثة في تدريس السنن الإلهية.

هذا علاوة على أنه يجب تدريس فقه السنن الإلهية ليس باعتباره علما كباقي العلوم فحسب، بل يدرس على أنه فقه متسع وشامل للعقائد والسلوك بل شامل للفرد والمجتمع وكل ما يمس مناحي الحياة البشرية في الحاضر والمستقبل.

فهل من همم ترنو أبصارها نحو معرفة السنن الإلهية والتفقه فيها، والبحث عن منهاج أمثل لتدريسها، لتكون سواعد للبحث فيها، وتطوير مناهجها؟

والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١. - **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، وبذيله كتاب المغني عن الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار للعراقي (ت٨٠٦هـ) علق عليه: جمال محمود ومحمد سيد، دار الفجر للتراث، القاهرة-مصر، ط١/ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢. - **الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده**، إعداد: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط/١٩٩٣م.

٣. - **تفسير المنار**، محمد رشيد رضا، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، مصر، ط٤/ ١٣٧٤هـ.

٤. - **تطوير المناهج**، حلمي أحمد الوكيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧/ ١٩٨٢م.

٥. - **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، سلسلة سنن تغيير النفس والمجتمع، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط٧/ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٦. - **سنن ابن ماجة**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف الرياض، ط١/د،ت.

٧. - **السنن الإلهية في السيرة النبوية**، أبو اليسر رشيد كهوس، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١/ مارس ٢٠١٠م.

٨. - **صحيح البخاري**، الموسوم بـ:الجامع المسند الصحيح من المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجُعفي (ت٢٥٦هـ)، ضبط النص: محمود محمد نصار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٤/١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٩. - **العروة الوثقى**، جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٠. - **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة-مصر.

١١. -"**المسلمون وفقه السنن**.."، مقال لمحمد أمحزون، المنشور بمجلة المنار الجديد، السنة السادسة شعبان ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، العدد٢٤، القاهرة.